من أسباب السعادة

تأليف

عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

2

تقديم

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ

مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فقد قرأنا كامل هذه الرسالة المسماة «**من أسباب السعادة**» لفضيلة الشيخ/ **عبد العزيز بن محمد السدحان** حفظه الله، وذلك في صيف عام ١٤٢٧ ه بالطائف، وقد ألفيناها رسالة نافعة مهمّة في بابها قد أجاد فيها فضيلة الشيخ عبد العزيز الطرح، وضمَّنها فوائد عظيمة يحسن الوقوف عليها، ابتدأها حفظه الله ببيان أنّ السعادة مطلب للجميع، وذكر تنوع مشارب الناس في فهم السعادة وطرقهم في محاولة التوصل إليها، وفنّدها طريقًا طريقًا، إلى أن أوقف القارئ على الطريق الحقيقي لتحصيل السعادة، وبعد ذلك ذكر جملةً من الأسباب المعينة على الوصول إليها، وزيّن ذلك كّله بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وكذلك بأمثلة حسية واقعية، حتى ظهرت بحمد الله رسالةً نافعةً على صغر حجمها، سهلةَ التناول سلسة الأسلوب.

فجزى اللهُ فضيلة الشيخ/ عبد العزيز السدحان خير الجزاء على ما يقد م في سبيل الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى ما فيه نفعهم في الدنيا والآخرة، وبارك اللهُ في عمره وعمله وزاده من فضله، إنه سبحانه سميع مجيب.

وصلى الله وسّلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

[تفاوت الناس في الحياة الدنيا]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١﴾. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾.

نحمد الله جميعًا حمدًا طيّبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا و يرضى.

والصلاة والسلام على رسول الله، الذي بّلغ الر سالة وأدّى الأمانة ونصح الأمةَ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين. فجزاه الله عنّا خير ما جزى نبيًّا عن أمّته.

وبعد[1]؛

فإنّ طبيعة المرء في هذه الحياة تختلف من بيت إلى بيت، والناظر في حياة البشر جميع يرى أنّ بينهم من التفاوت والفروقات الشيء الكثير... فبيت فيه حزنٌ، وبيت فيه مرض، وبيت تحمَّلَ أهلُه دَيْنًا، وكما قال القائل:

كلّ مَن لاقَيتُ يشكو دهرَه ليت شِعري هذه الدنيا لمن؟

فالذي ينظر في حاله إذا أصيب بمصيبة يرى أنّ غيره أسعد منه في الظاهر، مع أنه قد تكون به مصيبةٌ هي في حقيقتها أضعاف مصيبتك، ولكن كما قيل: «البيوت أسرار».

وإذا وسّعنا النظر... وجدنا أنّ ما يطلبه الجميع في هذه الدنيا من مسلم وكافر وغني وفقيرٍ وذكرٍ وأنثى كلّ أولئك ينشدون السعادة.

[كل الناس ينشدون السعادة]

ولو سألت أي إنسان سوي عاقل في هذه الدنيا: هل تريد أن تكون سعيد؟ لَما ترد د في أن يقول: نعم، سواء أكان المسؤول مسلم أم كافر، غنيا أم فقير؛ لأنّ السعادة ينشدها كلّ أحد؛ لِما فيها من الراحة والاستقرار، لكن يا ترى أين السعادة التي ينشدها أولئك القوم؟

أهي في الوفرة في الأكل؟

---

(١) أصل هذا الكتاب محاضرة مسموعة قام بتفريغها ومطابقة المطبوع على المكتوب الأستاذ محمد بن إبراهيم الزاحم جزاه الله تعالى خيراً.

أم هي في الوفرة في الشرب؟

أم في الوفرة في اللباس؟

أم في الوفرة في المال؟

هذا المفهوم السائد عند كثير من الناس... أمّا الكفَر ة فهم مجمِعون على أنّ السعادة إنما تكون في توفّر الطعام والمشرب والمال والمركب... طعام وشراب ومالٌ ومركب.

[المفهوم الحق للسعادة]

وطائفةٌ كبيرةٌ من المسلمين تظن أنّه بتحقّق هذه الأمور تصفو لها الحياة وتكْمُل لها السعادة! وهذا الفهم قاصر وفيه خلل؛ لأنّ السعادة الحقيقية التي تقَرُّ بها العين وينشرح لها الصدر ويطمئن إليها القلب لا تكون في الأكل والشرب فحسب.

فربما ترى غنيًّا يملك المال الكثير، وعنده من الدنيا ما لو قُسِّم على آلاف الناس لكفاهم...لكن مع هذا الثراء فقد يكون ذلك الرجل من أضيق الناس صدر، وأكثرِهم قلقًا، وأعظمِهم أرقًا، وأقلِّهم راحةً... إذن؛ ذلك المال لم يشفع له في أن يكون سعيد.

بينما ترى في المقابل رجلاً آخر قد يكون مدينا، ولكن مع ذلك الدَيْن الذي تحمَّله وهو يسعى في قضائه تجد ه أسعد من ذلك الغني بمرات كثيرة...

ومثل هذا من ألبسه الله لباس الصحة والعافية، سّلم جوارحه؛ يقوم بسلام، ويمشي بسلام، ويسمع ويتكّلم و يبصر بسلام، قد أتمّ الله عليه نعمة الجوارح.

أيا ترى! هل تكون السعادة بتمام نعمة الجوارح؟ لا... إذ قد يكون الإنسانُ كما سلف آنفًا سليم الجوارح لكن تجد أنّ الضيق ينتابه لا تكاد تراه إلاّ مهموم مغموم.

بينما ترى إنسانًا آخر قد حبسه المرض وأقعده على فراشه، لكن إذا جالسته وسمعت كلامه وجدت أنه من أشرح الناس صدر، ومن أقرّهم عينا، ومن أكثرِهم طمأنينةً.

ومثال آخر: قد ترى ر جلاً تبوَّأ من المناصب أرفعها، يأمر ولا يُؤمر؛ إن شفع حري أن يشفَّع، وإن أراد أمر بادر من حوَله إلى تنفيذ أمرِه... ومع هذا كلِّه لم يشفع له منصِبه، ولم تجلب له سلطته ولا هيبته السعادةَ، بل قد تراه طيلةَ يومه حزينًا كئيبًا.

بينما ترى ر جلاً آخر، يؤمر فيأتمر، و يُنهى فينتهي، و يُزجر فيزتجر... ومع هذا كلِّه تراه من أطيبِ الناس نفس وأشرحهم صدر.

فقد يكون الرجل الذي قد بلغ من النسب والحسب والجاه المنزلةَ الرفيعةَ، والمكانةَ العالية... لا يعرف السعادة.

وقد يكون الرجل المحتقَر في نظر كثير من الناس الذي إذا رآه الناس ازدروه يتقلّب في أنواع السعادة...

فشتّان ما بين الرجلَين: الفقير المحتقَر، والغني ذي الجاه والحسب والنسب؛ لأنّ هذه ليست معايير للسعادة ولا أماراتٍ لها في الحقيقة.

إذن؛ المال والمنصِب وعِظَم الجاه ورِفعةُ الحسب والنسب وكثرة الوَلد... لا تحقِّق وحدها لأصحابها السعادة.

[السعادة سعادتان]

ثمَّ اعلم أنّ السعادة سعادتان:

١-سعادة حسية: تكون بتوفّر المطعم والمشرب والملبس والمركَب، وما يتبع ذلك من ضروريات الحياة وما يزيد في نعيمها ورفاهيتها... وهذه السعادة يشترك فيها المؤمن والكافر.

فتجد الإنسان يتلذّذ بالأكل والشرب والسكنى في البيوت وتوفّر الأموال.

٢-سعادة نفسية: وذلك بسعادة القلب وانشراح الصدر وقُر ة العين والطمأنينة... وهذه السعادة لو كانت تشترى بالمال لتسابق الأثرياء إليها، ولاستدان الفقراء الأموال الطائلة حتى يشتروها... وهذه السعادة لو كانت تلتقط لسارع الناس إلى التقاطها، ولو كانت تورث لكان الورثةُ أعظم الناس حظًا... لكنها ليست كذلك، إنما هي مِنح ربّانية، وعطايا إلهية، يتفضّلُ الله بها على من يشاء من عباده.

[السعادة تهون المصائب]

أيها الإخوة الأكارم... من ذاق طعم السعادة هانت عليه المصائب كلُّها؛ لاحتسابه الأجر والثواب من الله تعالى، فشرح اللهُ له صدره، وطمأنَ قلبه، وعرفه لذةَ الحياة، فذاق لذّة العبادة، وحلاوةَ التلاوة، وعرف كيف يعيش وكيف يزكِّي حياته، وكيف يتلذّذ ذا العمر الذي وهبه الله تعالى له.

و السعادة القلبية خاصةٌ بالمسلمين، خاصةٌ بمن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دِينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا رسولاً.

لكن المسلمين يتفاوتون فيها... فمن مُقِلٍّ ومن مستكثر..

أرأيتم لو أنّ ركْبًا في سفينة نزلوا في جزيرة وسط البحر فتفرقوا فيها، فجمع بعضهم خشبًا، وجمع بعضهم ذهبًا، وجمع بعضهم حجر، فلكلٍّ ما جمع، فمنهم المغبون ومنهم الرابح.

كذلك المسلمون يتفاوتون في السعادة، وسأذكر بعض الأسباب التي تعين على تحصيل السعادة وتحقيقها،

وهذه الأسباب كفيلة بإذن الله تعالى لمن امتثلها أن يكون من أسعد الناس:

[من أسباب السعادة]

السبب الأول: قوة التوحيد

وهو أعظم الأسباب وأهمُّها، فمتى ما قوي توحيد العبد وتعظيمه لربِّه ﷻ وصدق في توكّله على الله ﷻ، واحتسب ما أصابه في ذات الله ﷻ، وعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أنّ كلّ شيء عنده بمقدار، وأنّ الله تعالى هو الذي يدبِّر الأمر، وأنت يا ابن آدم مربوب مخلوق لا تملك لنفسك نفعًا ولا ضرًا، بل لا تستطيع أن تدفع أو تمنع ضرًا أصابك... فتوقن حينئذ أنّ الله هو المستحق للعبادة، وتستشعر مراقبة الله ﷻ.

فتوحيد الله تعالى من أعظم أبواب السعادة، ولهذا ترى الناس يتفاوتون فيه... فبعض الناس إذا أصابته مصيبةٌ جزِع وأصابه الهلَع! وربما اعترض على ما قدَّره الله وقضاه عليه، فتجد أنّ ذلك المصاب كثير التضجر كثير الضيق، ولو سلَّم لِما أصابه وعلِم أنّ هذا قد قُدر عليه قبل أن يخلَق بل قبل أن يخلُق اللهُ السماء والأرض لهان عليه الأمر.

وما أجمل ما قاله القاضي شريح: «ما أصابتني مصيبة إلا حمدت الله تعالى عليها لأربع:

أولاً: أن رزقني الصبر عليها.

ثان يا: أن رزقني الاسترجاع عندها: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

ثالثًا: أن لم يجعلها أكبر منها.

رابع : أن لم يجعلها في ديني».

فإذا أصابك أمر فاجعل نصب عينيك قولَ ر بك:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴿١٥٦﴾﴾.

واجعل نصب عينيك قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴿٣٠﴾﴾.

وهنا أنبِّه إلى أمرٍ قد يخفى على بعض الناس فيظن أنّ المصيبةَ نِقمةٌ عليه... لا، قد تكون في ثنايا المصيبة التي نزلت بك نعمةٌ أنعم الله تعالى بها عليك؛ لأنّ **المصيبةَ إذا نزلت فلها أحوالٌ ثلاثة** حسب علمي :

أ-أن تكون **عقوبةً معجلةً**، وعذاب الدنيا أهونُ من عذاب الآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴿٣٠﴾﴾.

ب- أو تكون **كفارة لذنوب سلفت**. قالﷺ «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[١].

ج-أو تكون المصيبةُ **رفعةً لك و علُوًا في منزلتك** عند الله تعالى. قالﷺ «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[٢]. فقد يكون ابتلاءُ الله لك بهذه المصيبةِ محبةً لك.

قالﷺ : «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ، لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ -زاد بعض الرواة : ثم صبَّره على ذلك- حتى يُبْلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى»[٣].

وقالﷺ : «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، وَإِنَّ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، وَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري عن أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه.

(٣) أخرجه أبو داود من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده.

(٤) أخرجه الإمام مسلم عن صهيب رضي الله تعالى عنه.

وشاهد القول: أنّ العبد إذا فوَّضَ أمره إلى الله وقوّى إيمانه به وعلِم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ورضي بقضاء الله تعالى وقدره؛ هنِئَ عيشُه، بخلاف من لم يكن كذلك.

قال إبراهيم النخعي: «من لم يؤمن بالقضاء والقدر لم يهنأ عيشه».

فإذا صدقت في توكّلك على الله وصدقت في مراقبتك لله، واعتقدت أنّ الله ﷻ يراك، وأنّ الله ﷻ يراقبك، وأنه لا تخفى عليه خافية؛ يسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء؛ فُتِح لك باب عظيم من أبواب السعادة.

السبب الثاني: الدعاء والإلحاح والتضرع إلى الله

عليك أيها المسلم أن تخلِص الدعاء لله، فربنا أرحم بنا من أمّهاتنا وآبائنا. رأى النبي ﷺ امرأةً تضم رضيع إلى صدرها فقال ﷺ: «هل تُرَوْنَ هَذِهِ المرأةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قالوا: معاذ الله وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تفعل فَقَالَ: «لَلَّهُ بِعِبَادِهِ أَرْحَمُ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»(١).

وأنت لو ترى ولد صغير يتألّم من حر الشمس وبينك وبين أبيه عداوةٌ، فإنّ الرحمة والغريزة تضطر ك أن ترحم هذا الصغير وأن تشفِق عليه، وهذه رحمة وضعها الله في قلوب عباده، فكيف بولد قريبك؟ بل كيف بولدِك الذي خرج من صلبك؟

فإذا كنت أنت ترحم صغيرك، فاعلم أنّ الأم أرحم بالصغير منك، والله ﷻ أرحم من الجميع.

وهذا من لُطف الله ورحمته. قال الله تعالى واصفًا نفسَه الكريمة: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾.

إذن؛ أخلِصِ الدعاء لله، فالله يجيب من دعاه. قال ربنا تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.

ثمَّ هنا أمر يتعلّق بالدعاء، فقد يسأل سائل فيقول: دعوت ربي فلم يجب د عائي! ناسيا أنّ قبول الدعاء له أسباب وله موانع تمنع قَبول الدعاء وإجابته، وقد ذكر أهلُ العلم أنّ الدعاء إذا توفّرت

(١) أخرجه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

شروطُه وانتفت موانعه فإما أن يقبل، وإمّا أن يدرأ عن الداعي شر في الدنيا لا يعلمه، وإما أن يد خر له في الآخرة.

لكن من قال: دعوت ربي وألححت عليه ولم أر إجابةً، يقال له:

أولاً: ما قيامك بما أوجب اللهُ عليك؟ مما افترضه عليك؛ مطعمك، مشربك، ملبسك، أموالُك.. هل هي ملوثة في أوْحَال الحرام أو لا؟

إذا كان الجواب بـ «لا» فكما سلف آنفًا: إذا تحقّقت الشروط وانتفت الموانع فللدعاء أحوالٌ ثلاثة، كالرجل الذي ذكر النبي ﷺ أنه «**يمدُّ يدَه إلى السَّماءِ: يا رب، يا رب، مَطْعمُه حرام، ومشربُه حرام وغُذى بالحرام، فأنى يُستَجاب له**»(١).

فهذا الر جل قد تضرّع إلى الله وألحّ في دعائه، إلا أنه قد تلبس بما يمنع إجابةَ دعائه.

إذن؛ هو الذي جنى على نفسه، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه!

فيا عبد الله... أخلص الدعاء لله بأن يقر عينك، ويشرح صدر ك، و يطَمئِن قلبك، فإذا حقّقت شروط إجابة الدعاء وألححت على الله فأبشر وأمْل، فلن تر ى من الله تعالى إلا ما يسُرُّك.

السبب الثالث: المحافظة على الصلوات المفروضة من أسباب تأثير الصلاة على صاحبها

قال ﷺ : «**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ عذبٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ مَا يُبْقِي ذَلِكَ مِنَ الدَّنس**»(٢).

تلك الصلوات تزيل الدنس الحِسي والمعنوي، تلك الصلوات العظيمة فرض على كلِّ مسلم فرض عينٍ أن يؤدِّيها، فإذا أتقنها العبد وأقامها واستشعر عظمتها وحافظ عليها فلن يرى من الله تعالى إلا ما يسر ه؛ لأنّ الصلاة إذا أقيمت على حقيقتها فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وفيها درءٌ للأعداء من الجن والإنس.

فالصلاة طمأنينة، وخشوع، وانشراح، وقُر ةُ عين. ولهذا قال نبيُّنا ﷺ : «**... وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(٣).

لكن يا ترى... لماذا يقول كثير من المصلّين: نصلي ونصلي ولكن لا نرى أثر للصلاة علينا!

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم عن جابر ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد والنسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه.

ولنضرب مثالاً: فلو أنّ أحدنا أكل طعام أو شرِب شرابًا صنعه له أهلُه، وكان الطعام والشراب غير مستساغَينِ ألا يرفع الإنسانُ صوته على أهله قائلاً: لِمَ كان غير مستساغ؟ حق له أن يسأل، وحق له أن يغضب أحيانا؛ لأنه لم يتلذّذ في طعامه وشرابه.

إذن؛ أليس الأولى والأحرى والأجدر أن نسأل أنفسنا إذا صّلينا وخرجنا من المسجد: لماذا يعود المصّلي إلى ما كان عليه و يلو ث أقدامه في أوحال المعاصي؟! هذه الصلاة لو أقمناها حق إقامتها لتغيرت كثير من أحوالنا، وصلحت كثير من أمورنا.

لكن ما تقول في مصلٍّ قبل أن يؤذّن المؤذّن يقع لسانه في الغِيبة والنميمة ويلوث سمعه بما لا يرضى الله، و يطلِق بصر ه فيما نهاه الله عنه... فإذا رفع المؤذّن صوته هرع إلى المسجد، بل قد يأمر غيره و يحثّ غيره، فإذا فرغ الإمام من الصلاة وانقضت الصلاة خرج ذلك المصلّي وعاد إلى ما كان عليه من الآثام والأوزار؟!

وربنا ﷻ يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

فإذا رأيت نفسك لم تتغير بعد أداء الصلاة ولم تزل مقيمًا على الذنوب والمعاصي فاعلم أنّ الصلاة لم تؤتِ ثمارها حيث لم تؤثّر فيك تأثير كاملاً.

إذن؛ فلْنُعْنَ بإقامة الصلاة.

ومن أسباب تأثير الصلاة على صاحبها:

أولاً-أن يستشعر المصلّي أهميتها فيتهيأ لها قبل أو قُبيل دخول وقتها.

ثانيا-أن يبكِّر في الذهاب إليها.

ثالثًا-أن يقتدي بالنبي ﷺ في صفة طهارته وكيفية صلاته، فقد ورد الحثُّ على ذلك في قوله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ، غُفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ ذنبه»[١].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[٢].

ومن أسباب الخشوع في الصلاة أن تعتبر هذه الصلاة التي تؤديها آخر صلاة تصلِّيها. فقد ثبت عنه ﷺ من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ، فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ...»[١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده».

(٢) أخرجه البخاري

واستشعِر واعتقِد أنّ الله ﷻ يراك لتستحضر عظمةَ الله، فإن لم تكن تراه فإنه ﷻ يراك، وهذه هي مرتبة الإحسان، وهي أعظم مراتب الد ين، وهي: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فإذا اعتبرت هذه الصلاة آخر صلاة فكيف يكون خشوعك فيها؟ فالرجل الذي حكم عليه بالقتل إذا صّلى آخر صلاة ترى ماذا يقول فيها؟ وبماذا يضرع إلى ربه؟ وكيف يكون استجماعه لخشوعه؟ وكيف يكون تهيؤه في صلاته؟

فلتستحضر يا عبد الله عظمةَ أمر الصلاة، ولتقدر أمر ها، ولتتفقّد نفسك بعد كلّ صلاة، وسترى مواضع الخلل، وسيُعينك ربك ﷻ على سد الخلل الذي وقع منك.

السبب الرابع: الإكثار من النوافل

ففعل النوافل من أسباب محبة الله، كما أنّ أداء الفرائض سبب من أسباب محبة الله. قال عليه الصلاة : «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»(٢).

فإذا أحبَّك الله فهذا هو عنوان السعادة، وهنيئًا لك، وإنّ من أسباب محبة الله لك بعد أداء الفرائض:

الإكثار من النوافل، **وللنوافل ثلاث فوائد:**

الفائدة الأولى: أنها من أسباب محبة الله تعالى.

الفائدة الثانية: أنها تُرقِّع ما نقص من الفرائض، نوافل الصلاة تكمل ما أصاب الفريضة من خلل، ونوافل الصيام تكمل وترقّع ما أصاب الفرض من خلل. قال ﷺ : «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا، قَالَ اللَّه ﷻ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَتُكْمِلُوا بِهَا فَرِيضَتَهُ؟ ثُمَّ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ»(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» وفي «الصحيحة».

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود عن تميم الداري رضي الله تعالى عنه.

الفائدة الثالثة: في المحافظة والإكثار من النوافل: أن تكون من السبّاقين إلى الخيرات، المسارعين إلى الأعمال الصالحات. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وهو المفرط في الواجبات، ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ وهو المكتفي بفعل الواجبات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ الذي أدى الواجبات وحافظَ عليها واستكثر من النوافل ورِ ب فيها.

السبب الخامس: قراءة القرآن الكريم بتدبر وتفهم.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴿٢٨﴾﴾، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ فإذا قرأ الإنسان القرآن بتدبر وتفهم شرح اللهُ صدره، وطمأنَ قلبه، شريطةَ أن يمتثل ما أُمِر به وأن ينتهي عمّا نهي عنه، أما مجر د القراءة والتلاوة بقصد الترتيل مع المخالفة للأحكام الشرعية فهذا يستكثر من حُجج الله تعالى عليه.

أمّا من قرأ القرآن بتدبر وتفهم وكلما مرّ أمر عليه تفقّد نفسه هل قام به أو لا؟ فإن كان قد قام به حمِد الله وسأله المزيد من فضله، وإن كان مقصر استغفر اللهَ وبادر إلى امتثال ما أُمِر به، وكذلك في النهي ينتهي عما نهي عنه، فإن كان معافىً منه حمِد الله، وإن كان واقع فيه استغفر اللهَ وأقلع.

فهذا ممّن أقبل على القراءة بقلبه وجوارحه وحري به أن ينتفع. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴿٣٧﴾﴾

قال ابن مسعود ﷺ وغيره من السلف: «إذا سمعت اللهَ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأَرعِها سمعك، فإنها خير يأمر به أو شر ينهى عنه».

أمَّا القراءة من باب تكرار ختم القرآن فيحصل لك أجر التلاوة، لكن إذا قرأ الإنسان بتدبر وتفهم وتفقَّد نفسه فلا شك ولا ريب أنّ هذا هو الذي ظفِر بالأجر وأصاب الغاية من القراءة.

يقول ابن مسعود ﷺ في أثر أخرجه البغوي في «تفسيره» سورة المزمل عند قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ قِفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، لاتهذُّوه هذَّ الشعر، ولا تنُثروه نثر الرمل، ولا يكن همَّ أحدِكم آخِر السورة».

تجد بعض الناس يقرأ قراءةً سريعةً، وقد يأكل بعض الحروف حرص على أن يختم في كلِّ أسبوع مر ةً أو مر تين! ومثل هذا قد فوَّت على نفسه خير كثير.

احرص -رعاك الله تعالى- على أن تقرأ بترتيل وتأمل وتدبر، ولهذا كان الصحابة ﷺ لا يقرؤون عشر آياتٍ حتى يتعّلموها ويعلموا ما فيها من الأحكام ويعملوا بذلك، إن كان أمر امتثلوه، وإن كان نهيًا تركوه وأقلعوا عنه.

السبب السادس: المحافظة على الأذكار

والأذكار نوعان:

الذِّكر المطلَق: كقراءة القرآن حيث يقرأ في كلِّ وقت، والتسبيح، والاستغفار، والتهليل، وما شاكلَ ذلك.

الذِّكر المقيد: أي بزمان أو بمكان. يقول أهل العلم: إنّ الأذكار المقيدة في وقتها أفضل من الأذكار المطلَقة، فالأذكار المقيدة -كأذكار الصباح والمساء وأذكار المنام وأذكار أدبار الصلوات- إذا حافظ المسلم على هذه الأذكار وحفظ الأدعية الأخرى التي يُسمِّيها العلماء «عمل اليوم والليلة»، مثل: دعاء دخول المنزل والخروج منه، ودعاء السفَر، و دعاء الركوب، ودعاء دخول السوق... وما يتبع ذلك، فإذا عمل العبد بذلك وحافظ عليه فقد فُتِح له باب من أبواب السعادة.

لكن ينبغي أن نتفطّن إلى ما سبق التنبيه عليه، وهو: أنّ الذِّكر المقيد في وقته أفضل من الذِّكر المطلَق، وبالمثال يتضح المقال:

رجلٌ صّلى مع الجماعة، وبعدما سّلم الإمام وسّلم بعده أخذ يكلِّم من بجانبه أو أخذَ كتاب يطالعه، يقال له: هذا من التفريط في خيرٍ عظيم، وهو ثواب الأذكار دبر الصلاة، بل لو أخذ المصحف بعد الصلاة مباشرةً وأخذ يقرأ فيه مهمِلاً للأذكار دبر الصلاة لقيل له: لا تفعل، فالذِّكر المقيد في وقته أفضل، فالأذكار دبر الصلاة من آيات وأحاديث أفضل في وقتها من قراءة القرآن، وأذكار الصباح في وقتها أفضل من قراءة القرآن، وأذكار المساء في وقتها أفضل من قراءة القرآن،

وأذكار النوم تشتمل على آياتٍ من القرآن وأذكار أخرى من غير القرآن، وهي أفضل في وقتها من قراءة القرآن. قال بعض السلف: ما أمر اللهُ تعالى بعبادة أكثر من الأذكار.

فينبغي لك يا عبد الله أن تجعل لسانك رطبا بذِكر الله، كما أوصى النبيﷺ بعض صحابته ﭫ، وحافِظْ على الأذكار المقيدة في أوقاتها؛ لأنّ الذِّكر يعطي الإنسانَ غذاءً روحيًا، وانشراح نفسيًا، وبهجةً وسرورًا.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وإنّ من المصيبة أن نجد بعض المصلّين إذا أخذ يقرأ القرآن الكريم أو أخذ كتابًا من الأذكار ليقرأ شيئًا من الأذكار يصيبه ملل وضيق، فيترك هذا الكتاب، بينما الحال تختلف إذا قرأ في جريدة أو في مجلة حيث يمضي الوقت الطويل في قراءتها، بل ربما يعيد القراءة فيها مرةً أو مرتين، ويتصفّحها مرات وكرات!

لكن لو سألت هذا قائلاً له: هل قرأت أذكار الصباح فهي خير لك وأعظم أجر وأحسن عاقبةً؟ والحري بالمسلم أن يشغل وقته بما ينفعه من قراءة وذِكر وعبادة، وليس معنى ذلك أن يمنع من النظر في الصحف والمجلات الخالية من المحاذير الشرعية للاطِّلاع على الأخبار ومعرفة أحوال المجتمع وأوضاع المسلمين في الداخل والخارج.

أما أن يعتري العبد ضيق إذا قرأ القرآن الكريم أو قرأ السنة النبوية، وينشرح صدره إذا قرأ في الصح ف والمجلات وبخاصة مع ما قد يطّلع عليه من صور النساء المتهتكات والمتبرجات... فليتفقّد العبد نفسه، فإنّ هذا من أمراض القلب.

ويقال هنا أيضًا : إنّ بعض الناس قد يحفظ الأشعار والأخبار ويستطيع أن يسردها بكلّ يسر وسهولة، بل إنّ بعضهم تراه وقد شاب رأسه وإذا حضر المجلس أمتعك بسرد الأشعار وروايةِ القصائد كأنك بين جرير والفرزدق ونحوهما، مع معرفته التامة بالقصيدة هل هي مدح أو هجاءٌ أو رِثاءٌ؟ ومن قائلها؟ ومن عارضها؟ لكن لو قلت له: هل لحفظك حظٌّ من حفظ الأذكار؟ لرأيت أنّ كثير من أولئك ليس لهم حظٌّ من حفظ شيءٍ من القرآن أو الأذكار، فكيف رضي هذا لنفسه أن يملأ جوفَه بالشعر و يخليه من العلم والذِّكر!؟

قالﷺ : «لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا، حَتَّى يَرِيَهُ[1] خَيْرٌ لَهُ، مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا»[2].

---

(١) أي: حتى يصيب رئته.

(٢) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

و مما يحسن ذِكره هنا: ما جاء عن الأعمش رحمه الله تعالى أنه قال: «إذا رأيت الشيخ لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث فاصفع له فإنه من شيوخ القمر! فقال أحد رواة الخبر لصاحبه : ما شيوخ القمر؟ قال: شيوخ دهريون يجتمعون في ليالي القمر يتذاكرون أيام الناس ولا يحسِن أحدهم أن يتوضأ للصلاة»[١].

السبب السابع: مجالسة الصالحين

والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، وعلى رأسهم: العلماء، وطلبة العلم. جالِس أولئك القوم فإنك لن تسمع إلاّ خير، ولن ترى إلاّ خيرا، وستخرج من مجلسهم مستفيد إما علم زادوك، أو باطلاً رد وه، أو إشكالاً حلُّوه، أو لبس أزالوه، أو مصيبةً حلّت بك قد كانوا لك بعد الله عونا في كشفها.

فاحرص على مجالسة الأخيار، واجعل لنفسك حظا من الجلوس مع العلماء وطلبة العلم، حيث أثنى رسول الله ﷺ على هذا النوع من الجلساء وذم ضدهم فقال: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَمثل الجليس السوء كنَافِخِ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[٢].

ولم ينس العقلاء ولم يغفل الحُكماء عن الوصية بالصاحب الذي ينبغي أن يصاحب:

وصاحب من الإخوان كلّ ممكَّنٍ ... له فضلُ عقلٍ وهو في الناس خاملُ

بعض الناس غير معروف بين الناس، لكن له عقل وحكمة، متميز في خلُقه وفي دينه، فجالس مثل أولئك القوم.

وقد ذكر ابن الق يم : عشرة أسباب جالبة لمحبة الله ﷻ، وذكر منها: الجلوس مع الصالحين؛ لأنّ المجلس إما أن يكون حجةً لك أو عليك. قال ﷺ : «**مَا من قوم يقومون من مجلِس لا يذكرون الله تعالى فيه إِلَّا قاموا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٣].

---

(١) «شرف أصحاب الحديث» للخطيب لبغدادي (ص ٦٧-٦٨).

(٢) أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) أخرجه أبو دود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

فانظر يا عبد الله من تجالس؛ فإنّ من الجلساء من يكون كالداء، ومنهم من يكون كالدواء، فجليس السوء داءٌ ومرض وسم زعاف، أما الجليس الصالح فدواء وشفاء بإذن الله تعالى.

فإذا رأيت الجليس ينصحك و يقومك ويسعى لإسعادك، فيقول: يا فلان أنت مقصر في الصلاة، يا فلان أرى فيك عقوقًا للوالدين، يا فلان أرى فيك إهمالاً لمسؤولياتك البيتية والوظيفية، فاحرص على مثل هذا الجليس واشدد يديك به.

أمّا إذا رأيت الرجل لا يتفقّد دينك، فيرى فيك قُصور ولا ينبهك عليه، ويرى عندك إخلالاً بالمسؤولية فلا يوجهك ولا يرشدك، فمثل هذا الجليس الاستغناء عنه خير وقُربةٌ يتق بها العبد إلى ربه ﷻ.

السبب الثامن: محاسبة النفس

ومحاسبة النفس كشافة لحال المرء، تخرِج النفس على حقيقتها. نقل التنوخي عن بعضهم أنه قال : «ينبئ الرجل عما في نفسه في ثلاثة مواضع... وذكر منها: عند اضطجاعه على فراشه»[(١)].

بل ذكر ابن القيم : أنّ محاسبة النفس هي من الأسباب المنجية من عذاب القبر، فقال عند كلامه عن محاسبة النفس: «... أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعةً يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه من يومه، ثم يجدد له توبةً نصوح بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة» ثم قال رحمه الله تعالى: «ويفعل هذا كلَّ ليلة»[(٢)].

حاسب نفسك أولاً: هل أدّيت حق الله عليك؟ ثانيا: هل أديت حق الوالدين؟ وحق البيت والأولاد؟ سل نفسك: فلانٌ يحبك لماذا أحبك؟ فلانٌ يبغِضك وينفُر منك ويكره الجلوس معك لماذا؟

سل نفسك بصدق وتجر د، دون تحيز أو التماس عذر وتأويل، فإذا تفقّدت نفسك وسألتها بصدق، ثم خطّأتها في مقام الخطأ وعلمت الصواب فلزمته؛ فقد فُتح لك باب من أبواب السعادة.

وهذا شيءٌ مجرب؛ ومع هذا فبعض الناس يقول: أنا أحاسب نفسي، لكن إذا كان في المحاسبة دخن وخلل يلتمس الأعذار، يجعل الخطأ دائم على غيره، والصواب معه!

---

(١) «الفرج بعد الشدة» للتنوخي (١/ ٣٠٨).

(٢) «الروح» لابن القيم (١/ ٣٤٥).

لا، اصدُق في المحاسبة، وإذا علم اللهُ منك صدقًا في محاسبة نفسك فسترى من الله ما يسر ك إن شاء الله تعالى.

السبب التاسع: بر الوالدين

بر الوالدين مجلبة لمرضاة الله ﷻ، ومجلبة لقبول الدعاء، ومجلبة للرزق.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

فالأنبياء عليهم السلام كانوا أبر الناس بآبائهم، سواء أكان آباؤهم من أهل الإيمان أو الكُفر، فإن كانوا من أهل الإيمان قاموا بحق البر والإحسان والصلة والطاعة، وإن كانوا من أهل الكفر قاموا بالمصاحبة بالمعروف والبر والإحسان والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، والدعاء اهم في حياتهم.

وقد وصف الله ﷻ حالَ الأنبياء عليهم السلام وذكَرَ برهم لوالديهم:

فقال عيسى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾.

وقال عن يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾.

وقال نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾.

وكان إبراهيم؛ يترفّق ويتلطّف بأبيه قائلاً: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾، بأرق عبارة وألطف تودد لكسب قلبه واستمالته للدخول في الإسلام والإيمان بالله تعالى.

بر الوالدين مجلبة للرزق، قال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١).

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وأعظم الناس استحقاقًا للصلة هم الأبوان: الأم والأب، وذلك بالدعاء لهما، واسترضائهما، ونصحهما إن قصرا، والتودد والتلطّف في مخاطبتهما.

جاء رجلٌ يحمِلُ امرأةً على ظهره فقال: يا أمير المؤمنين -يكلِّم عمرًا- هذه أمي قد جعلت ظهري لها وطاءً، قد طُفتا وسعيت حتى أتمّت مناسكها وأنا أقوم بحاجتها أُوضؤها، أطعمها، أنظِّفها، هل تراني أدّيت حقّها؟ قال: لا، لأنك تفعلُ ذلك بها وأنت تتمنى فراقَها، وهي قد فعلت ذلك بك وهي تتمنى بقاءك.

وقال ﷺ عندما سأله الصحابي: أي العمل أفضل؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَى وقتها». قال ثم أي؟ قال: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قال : ثم أي؟ قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(١).

فإذا بر رت والديك فأبشِر وأمِّل من الله ما يسر ك، أمّا إن عقَقْتهما أو أحدهما بالقول أو الفعل فيخشى عليك أن ترى ما يسوؤك، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

السبب العاشر: صلة الرحم

قال الله تعالى في سورة القتال (سورة محمد ﷺ): ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾

وقال ﷺ : «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»(٢).

قطيعة الرحم قاطعةٌ للسعادة، جالبة للشقاوة، وعكسها صلة الرحم: قاطعة للشقاء جالبة للسعادة.

وصلة الرحم من أعظم القُربات، فاحرص يا عبد الله أن تصل من تستطيع بالزيارة أو المهاتفة أو المكاتبة أو تحميل السلام افعل ولا تتكاسل، ففي ذلك مرضاة لله ﷻ، وتحقيق للسعادة، وتحصيل لحب الناس بعد محبة الله تعالى، ونشر لهذه الفضيلة، فتكون سببًا لاقتداء الناس وامتثالهم أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ.

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٢) أخرجه الشيخان عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه.

السبب الحادي عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وذلك مع نفسك أولاً، ثم مع من تعول، ثم مع من تستطيع.

والأمر بالمعروف من أعظم مفاتيح أبواب السعادة، أعز اللهُ أمةً بقيامها هذه الشعيرة، وأذلّ أمةً بتضييعها هذه الشعيرة.

قال الله تعالى:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

وفي المقابل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴿٧٨﴾﴾.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على من قَدِر عليه. قالﷺ فيما أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

وهاهنا أمر لا بد أن نعلَمه، إذ يقول بعض الناس: أنا أجالس زيد وعمر من الناس، وعندهم منكر لكني قد أنكرت عليهم، إذن ما الذي أجلسك معهم؟

قال: يشفع لي أني قد أنكرت عليهم وحذّرتهم من عاقبة المعاصي.

فيقال له حينئذ: جلوسك هذا إقرار للمنكر؛ لأنّ تغيير المنكر له ثلاث درجات:

١-باليد لمن قدِر على ذلك.

٢-باللسان لمن قدِر ولم يستطع الإنكار باليد.

٣-بالقلب إذا لم يستطع بيده ولا لسانه، ولا يعذَر بتركه أحد.

ثمَّ المفارقة.

فالإنكار بالقلب يستلزم المفارقة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾. وقالﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقْعُدْ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ»[1].

(١) أخرجه الترمذي والحاكم عن جابر رضي الله تعالى عنه

فإذا أنكرت عليهم فقُم وفارقهم، أمّا أن تقول: أنا منكِر عليهم، وتجالسهم فهذا لا يشفع لك ولا تبرأ ذمّتك ولا تخرج من تبعة المشاركة في المعصية، ومع ذلك فلا تنسهم من د عائك وتعاهدهم بنصحك والزم الحكمة معهم.

السبب الثاني عشر: مجانبة المعاصي

وبخاصة كبائر الذنوب. وهذا داخل في السبب الذي قبله، لكن وقع تخصيصه لأهميته وذِكر الأمثلة عليه، فمن الكبائر مثلاً:

١- الحسد.

٢-عقوق الوالدين.

٣-الكذب.

٤-شهادة الزور.

٥-أكل أموال اليتامى.

٦-أكل الربا.

٧-الغيبة والنميمة.

٨-قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

٩- قذف المحصنات المؤمنات الغافلات.

١٠ -التولّي يوم الزحف.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴿٣١﴾﴾.

فإذا ترك المرء الكبائر كُفِّرت عنه السيئات وأدخله الله ﷻ مدخلاً كريمًا، وحاز السعادة في الدارين.

أمّا أن يتلطّخ الإنسان بالمعاصي ثم يندب حظَّه فذلك لا ينفعه ولا يجني جانٍ إلا على نفسه.

السبب الثالث عشر: المبادرة بالتوبة النصوح

عند الوقوع في الذنب، وكلُّنا خطَّاءٌ، قال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(١).

وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لجاء اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ لِيَغْفِرَ لَهُمْ»(٣).

والعبد بين ذنبين: إما ذنب هو مقيم عليه، أو ذنب يقع فيه ثم يقلع عنه.

قالﷺ: «مَا مِنْ عبدٍ مُؤْمِنٍ إلا وَلَهُ ذَنْبٌ يعتاده الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةَ، أو ذنبٌ هو مقيمٌ عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفتّناً توّاباً نَسَّيا إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ»(٤).

فإذا أذنبت فعليك بالتوبة النصوح، أما من يقع في الذنب اليوم ثمَّ يتوب بعد ساعة و يذرِف الدمع حرقةً وكمد ثمَّ يرجع من الغد دون مجاهدة لنفسه ثمَّ يتوب ويبكي، ثمَّ يرجع، فهذه كما قال ابن القيم: توبة الكذابين؛ لأنّ التوبة النصوح تجعل في نفس صاحبها بعد فضل الله وازع يردعه عن الإقدام على المعصية.

لكن لو قُد ر أنه جاهد نفسه وجاهد نفسه ثم غلبته نفسُه وشيطانُه وهواه، فعليه أن يبادِر بالإقلاع.

والتوبة النصوح لها ثلاثة شروط:

١- الإقلاع عن الذنب والاستغفار مما وقعت فيه.

٢- العزم على أن لا يعود إليه البت ة.

٣- الندم على ما فات.

٤- فإن كان الذنب فيه مظلمةٌ للغير -من أخذ مال أو ما شاكله- فعلى المسلم رد ه على صاحبه.

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

وهاهنا أمر مهم : يقول بعض الناس: أنا اغتبت فلانا فكيف أتحّلل منه؟ أنا تبت إلى ربي فهل أخبره؟

يرى بعض أهل العلم أنك تذهب إلى كلّ من اغتبته وتخبره بغيبتك له وتسأله العفو.

لكن لعلّ هذا القول خلاف الصواب، والصحيح والراجح إن شاء الله تعالى وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى كما ذكره في «مدارج السالكين»، أنه لا يلزم الذهاب إلى من اغتبته بل في الذهاب إليه مفسدةٌ، فربما أخبرت فلانا بأنك قد اغتبته فيوقع الشيطان في نفسه أمر فيزيد عداؤه لك.

والأَوَلى أن تستغفر له وأن تذكر ه بخير إذا مر ذِكره، إذا كنت قد أخطأت في وصفه وأن تكُف لسانك عن ذِكره بالغيبة والنميمة.

السبب الرابع عشر: قبول النصيحة بل طلبها

فبعض الناس يجد في نفسه حرج إذا نُصح، وكان الأولى بك أخي المنصوح أن تفتح صدرك للنصيحة، فربما يرى فيك أخوك عيبًا أو تقصير فينبهك عليه، بل إذا طلبت النصيحة من رجل وجب عليه إذا كان عالمًا بخطئك أو بما فيك أن ينصحك.

قال عليه الصلاة والسلام: «وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ». وقال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ».

لأنّ النصيحة قد تستر عنك عيوبا، أو تخرجك من مآزق كنت واقع فيها، أو تغلق عنك أبوابا كانت مفتوحةً عليك بسبب إهمالك.

وبكلّ حال؛ فطلب النصيحة يعين الإنسان على الخير، ويوصله إلى طريق السعادة؛ لأنه قد يكون أخوك الناصح يستحي فإذا طلبتها منه تجر أ وأخبرك بها، فافتح صدرك لها ولا تكن ممن تأخذُه العزة بالإثم فتبادر النصيحة بنصيحة بقصد الشماتة، لا، إن كان قصدك الشماتة فهو مأجور وأنت مأزور.

السبب الخامس عشر: مشاركة المسلمين في آلامهم وآمالهم.

فإذا أحببت أن تسعد فشارك إخوانك المسلمين... الجيران والفقراء والمرضى في أفراحهم وأتراحهم.

قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»[1].

فإذا استشعر الإنسانُ آلامَ إخوانه فتألّم لهم، واستشعر الإنسان آمال إخوانه فأمَّل معهم أسعده الله ﷻ.

السبب السادس عشر: التماس الأعذار لمن أخطأ في حقِّك من إخوانك

بسبب غضب أو انفعال فيخطئ في حقّك، فاعتبرها منه زّلة، وبخاصة إذا كان الرجل صاحب خير، أو تريد أن تتألّف قلبه، ولا تحاول أن تكدِّر خاطره، بل إذا اعتذر لك فاقبل عذر ه، يشرح الله صدره برضاك عنه، وفي المقابل يؤتيك الله تعالى من الانشراح مقابل ما أدخلت على أخيك من السرور أيضًا.

السبب السابع عشر: السعي في الإصلاح بين المتخاصمين والمتشاحنين

لأنّ في سعيك للإصلاح بينهما إدخالاً للسرور على قلبيهما، ودفع للشيطان وتلبيسه ووسوسته، ومن عمل صالحًا فلنفسه، فأنت الآن تعمل ابتغاء مرضاة الله تعالى لتدخِل السرور على إخوانك فيجعل الله لك نصيبا من ذلك.

السبب الثامن عشر: شكر النعم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. وشكر النعم من الأعمال الصالحة.

السبب التاسع عشر: إدخال السرور على المسلمين

بزيارة مريضهم وعيادته، والسعي في تنفيس أو تفريج كُربة مكروبهم، ومواساة منكوبهم؛ لأنّ بعض الناس إذا كّلم من ضاق صدره وتكدر خاطره أدخل عليه الأمل وذكّره بواسع رحمة الله وواسع فضله فينقلب ذلك الضيق والكدر انشراح، وذلك الهم سعادةً.

---

(١) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه، ومسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه.

ونبينا ﷺ يقول: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

السبب العشرون: التفاؤل

فبعض الناس يتشاءم ويظن أنه أضيق الناس وأنه أفقر الناس وأكثر الناس ديونا، لا -ورعاك الله تعالى- بل تفاءل. فقد «كان ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ»(٢). فلا تتشاءم فتتكالب عليك شياطين الإنس والجن مع النفس الأمارة بالسوء، بل أحسن الظن بالله. قال ﷺ : «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فله، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فله»(٣).

إن ظنَّ العبدُ بربه خير فله، وإن ظن شرًا فعليه.

الظن الحَسن بالله يفتح أبواب الأمل، و يدخِل على القلب السعادة بفضل الله ﷻ، لكن إذا أساء الظن بربه وتشاءم فقد ذكر الله عقوبته في قوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

السبب الحادي والعشرون: أن تحبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك

وبعض الناس إذا أنعم الله ﷻ على أخيه بنعمة حمل في قلبه الحقد والغلّ، وهذا هو الحسد، وقد تقد م أن من أسباب السعادة أن تجانب كبائر الذنوب ومنها الحسد، فإذا أنعم الله ﷻ على أخيك بنعمة فاسأل الله تعالى أن يؤتيك و ينعم عليك، أما أن تتمنى زوالَها عن أخيك أو تسخط وتتغيظ فهذا محرم.

السبب الثاني والعشرون: أن تنظر في أمور الدنيا إلى من هو أقلّ منك وفي أمور الدين إلى من هو أعلى منك

فهو أحرى أن لا تزدري نعمة الله عليك كما بين ذلك عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه البيهقي عن أبي هريرة ﷺ، وأخرجه الحاكم عن عائشة ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

إذا كنت موظّفًا وراتبك يسيرًا فانظر إلى من هو أقلّ منك ولا تقل: إنّ راتبي لا يكفيني، أنا كذا وكذا... هذا أمر قد ره الله عليك وكتبه لك، فانظر إلى من هو أقلّ منك.

فلو كان في يدك مرض فانظر إلى من فقد يد ه كّلها، أو كان في إحدى قدميك ألم فانظر إلى من فقد قدميه، أو في عينك مرض فانظر إلى من فقد بصره... فإذا نظرت في أمور الد ين إلى من هو أعلى منك زادت رغبتك في الخير وفتحت على نفسك أبوابًا من الخير والسعادة.

أمّا إذا كنت تنظر إلى أصحاب الدنيا وتتوق نفسُك إلى ما عندهم فقد تنقطع بك الآجال والأعمار وأنت في أماني وتسويف! وكما قال أهل العلم: الأماني رؤوس أموال المفاليس!

السبب الثالث والعشرون: القناعة بما رزقك الله

قال عليه الصلاة والسلام : «**خير النَّاس مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**»(١).

لو كان عندك أموال قارون وأنت غير قانع فلن تسعد بها، ولو كان عندك ما يكفيك قوت يومك وأنت قانع وشاكر لله تعالى فستحظى بالسعادة، فاقنع بما آتاك الله يشرح الله تعالى صدرك.

السبب الأخير: طلب العلم

قد تقول: تقدَّم شيءٌ من ذلك، طلب العلم أن تسمع العلم فيما ينفعك في دينك بقراءة أو سماع وحضور لمجالس العلم وحلقاته، والعلم هو أعظم باب للسعادة، وهو المفتاح الأكبر للأُنس والراحة، وذلك أنك لن تعرف أن تطيع الله طاعة كما يحب ويرضى إلا بالعلم، واتباع السنة لا يكون إلا بالعلم، ومعرفة الحلال والحرام لا يكون إلا بالعلم، وإدخال السرور على الناس لا يكون إلا بالعلم.

والناس يتفاوتون في هذا، فتجد العالِم من أدرى الناس بأبواب السعادة، والذي أقلّ منه علم يخفى عليه أبواب من الخير... وهكذا.

فاحرص على مجالسة أهل العلم، والْز م إن استطعت حلقات العلم، فإن ضعفت نفسك أو غلبتك مشاغلُك فلا أقلّ من أن تستمع إلى الأشرطة العلمية أو أن تجالس ولو أحيانا أهلَ العلم من بعض طلبة العلم ومشايخ العلم.

---

(١) أخرجه مسلم

قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فأهل العلم ينفون الجهل عن الجاهل، ويزيدون العالم أو المتعّلم علم.

فاحرص أخي المسلم على حضور حلقات العلم وملازمتها.

وأخيرًا : أسأل الله جل وعلا أن يرزقنا وإياكم السعادة في الدين والدنيا وفي البرزخ والآخرة، كما أسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم مفاتيح للخير مغاليق للشر، وأن يقرّ أعيننا ويشرح صدورنا وأن يطَمئن قلو بنا وأن يجمعنا في الدنيا على خير حال، وفي الآخرة على أحسن مآل، في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدِر.

شكر الله للجميع، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسّلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

فهرس الموضوعات

من أسباب السعادة ١
تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ ٢
[تفاوت الناس في الحياة الدنيا] ٣
[كل الناس ينشدون السعادة] ٣
[المفهوم الحق للسعادة] ٤
[السعادة سعادتان] ٥
[السعادة تهون المصائب] ٥
[من أسباب السعادة] ٦
السبب الأول: قوة التوحيد ٦
السبب الثاني: الدعاء والإلحاح والتضرع إلى الله ٨
السبب الثالث: المحافظة على الصلوات المفروضة من أسباب تأثير الصلاة على صاحبها ٩
السبب الرابع: الإكثار من النوافل ١١
السبب الخامس: قراءة القرآن الكريم بتدبر وتفهم ١٢
السبب السادس: المحافظة على الأذكار ١٣
السبب السابع: مجالسة الصالحين ١٥
السبب الثامن: محاسبة النفس ١٦
السبب التاسع: بر الوالدين ١٧
السبب العاشر: صلة الرحم ١٨
السبب الحادي عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٩
السبب الثاني عشر: مجانبة المعاصي ٢٠

السبب الثالث عشر: المبادرة بالتوبة النصوح ٢١
السبب الرابع عشر: قبول النصيحة بل طلبها ٢٢
السبب الخامس عشر: مشاركة المسلمين في آلامهم وآمالهم ٢٢
السبب السادس عشر: التماس الأعذار لمن أخطأ في حقِّك من إخوانك ٢٣
السبب السابع عشر: السعي في الإصلاح بين المتخاصمين والمتشاحنين ٢٣
السبب الثامن عشر: شكر النعم ٢٣
السبب التاسع عشر: إدخال السرور على المسلمين ٢٣
السبب العشرون: التفاؤل ٢٤
السبب الحادي والعشرون: أن تحبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك ٢٤
السبب الثاني والعشرون: أن تنظر في أمور الدنيا إلى من هو أقلّ منك وفي أمور الدين إلى من هو أعلى منك ٢٤
السبب الثالث والعشرون: القناعة بما رزقك الله ٢٥
السبب الأخير: طلب العلم ٢٥
فهرس الموضوعات ٢٧